﴿ ومن يوتى الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ﴾

هـذا

كتاب الذخيرة

للعلامة علاء الدين علي الطوسي المتوفى سنة سبع وثمانين
وثمانمائة لذي امره السلطان محمد خان العثماني الفاتح ان
يصنف كتابا للمحاكمة بين التهافت للامام الغزالي
وبين الحكماء فكتب هذا الكتاب في ستة اشهر
واعطاه السلطان محمد خان عشرة الآف
درهم * من كشف الظنون ملخصا

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند
بحيدرآباد الدكن عمرها الله الى اقصى الزمن

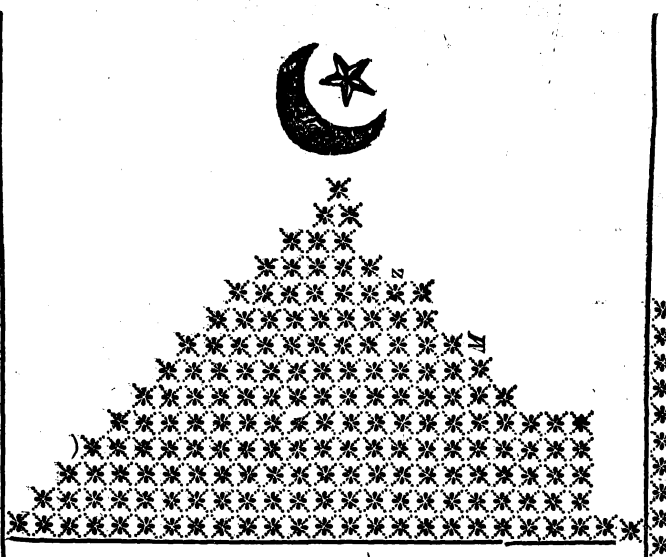

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سبحانك اللهم يامنفردا بالازلية والقدم * و يامفيض الكون على من انسم بسمة العدم * يا من النوال و الجود شانه * و وجود الحوادث حجته و برهانه و افاضة الكمالات على الممكنات رحمته و احسانه * و تصريفها في الاحوال و الاطوار قدرته وسلطانه * نحمدك تحميدا كثيرا * و نمجدك تمجيدا كبيرا * على ما كرمتنا باجزال الائك * و خصصتنا بافضل نعمائك * وخلصتنا من مهاوي الجهالة و الضلالة بلطفك وعطائك و فضلك و بهائك * حيث لخصت لنا طريق معرفتك على لسان انبيائك * و ذكرتنا بان المهتدى هو المقتدى بهدى اولئك * وفطرتنا على فطرة نهتدى بها الى سواء الطريق * و جعلتنا على سبل سلوك مناهج التحقيق * و ذلك بان منحت علينا بنور من انوارك نهتدي به في التفكر في اسرار ملكك و ملكوتك * و نتوصل به الى الاطلاع على

آثار عزتك وجبروتك * فسبحانك ما امنع سلطانك * وما ارفع شانك * وما انفع امتنانك * لانحصي ثناء عليك * ولانهدى الا الاعتراف بالعجز اليك * ثم نتحف صلات صلواتنا في جلوا تنا وخلوا تنا الى نجيك وحبيبك * وصفيك ونجيبك * افضل الرسل * وموضح السبل * ومبعد من ساعدتهم السعادة من المهالك * ومنقذ من وافقهم التوفيق الى اقصد المسالك * الذى اكرمه الله الى ان اخدمه افضل الملائك * صلى الله عليه صلوة متوافرة متواترة لاانتهاء لاعدادها * ولاانتفاء لامدادها * وعلى جميع اخوانه من النبيين * وعلى آله الطاهرين * واعوانه واتباعه من الصديقين والشهداء وصالحى المؤمنين الى يوم الدين * وبعد * فان جملة الآراء تطابقت وجلة العقلاء تواطأت على ان لاسعادة للانسان وراء معرفة مولاه قدر مقدوره * وحسب منشوره بما عليه من نعوت كماله وصفات جلاله * ولا سبيل اليها الا بالتأمل في مخلوقاته * والتفكر في مصنوعاته * ولكنه مهوى سحيق بعيد المرام * قد هلك فيه ممن سلك اقوام * وبحر عميق مواج * فاض ممن خاض فيه افواج * فلا يرجى لكل سائح فيه الوصول الى المامن والمناص * ولا يظن لكل سابح فيه السلامة والخلاص * اذ الامور الالهية عويصات تتابى ان تستقل بادراكها عقول البشر * ومعضلات لايتأتى ان يتوصل اليها بمجرد الفكر والنظر * ولهذا تحزبوا فيها احزابا * وصاروا اللاراء المتخالفة اصحابا فمن ناج فايز بمبتغاه * وهالك جاير(١) بغصة هواه * فمنهم من لا يؤبه بحالهم *

(١) جائر اي مائل عن الحق * ولا يؤبه اي لا يبالى به ولا يلتفت اليه ١٢ مجمع

ولا يعتني بهم لسخافة مقالهم * لكن معظمهم وهم المتسمون بالفلاسفة قد تعمقوا في النظر والاستدلال * وجعلوا العقل في حقائق الامور وان كانت من الالهيات حاكما على الاطلاق مديرا بالاستقلال * ولم يلتفتوا الى ما نطق به الوحي الصريح * مع ان ما يخالفه ليس مقتضى النظر الصحيح * فلهذا زلوا في بعض المواضع عن الصراط المستقيم * وضلوا عن الطريق القويم * فاسسوا مباني اصولا * ووضعوا ابوابا وفصولا * مخالفة لما تطابقت عليه انظار الملبين * وتوافقت عليه اقوال النبيين * وقد يقع لبعض طلاب العلم الناظرين في اقوالهم في بادي النظر ومبادي الفكر تردد بلا ميلان الى صحة ما رتبوه وقطعيته * وصدق ما فرعوا عليه وحققته * فلهذا اهتم ائمة الدين الذابون عن عقائد المؤمنين بنقل مذاهبهم * والتنبيه على مواقع الخطاء في دلائلهم ومطالبهم * ولما شرفني الله تعالى بخدمة العلماء * ويسر لي الاطلاع على بعض حقايق كلام الاذكياء * ووفقني بعنايته على ان كلا من اي الحزبين احق * وبالقبول والاتباع اولى واخلق * كان برهة من الزمان يتلجلج في صدري ويتخالج في قلبي ان اكتب في المسائل الالهية وما يتعلق بها بعض ما تقرر لي وتحقق عندي لعله يكون وسيلة الى رضى مولاي وذخرا الى اخراي واولاي * ولكنه كان يعوقني عن ذلك عدوان زماني الذي لا اشتكي منه الا الى ربي وليتني ادري لما يصنع بي ما ذا جرمي وذنبي * وهكذا كان يفني الايام وكنت ابقي محرما عن هذا المرام الى ان اشار الي مولانا ومولى الثقلين مالك ملوك الخافقين سلطان سلاطين

العالم

العالم المقيد بربقة رقيته رقبة ولاة الامم قامع سلخ الكفار بالهيبة المتينة والرأي الرزين * قالع عرق الاشرار بالشوكة المكينة والفكر الرصين عتاة الولاة لانحرافهم عن سمت طاعته غياة اذلاء * وعراة الرعاة لانخراطهم في سمط عبوديته سراة اجلاء * ملأ الله العالم علما وايمانا بيامنه وبركاته وواسع فيه امناوامانا بسكناته وحركاته * لطف الله المحض لاهل التوحيد والايمان * قهر الله التجت على ارباب الشرك والطغيان · المحقق لاسرار نص ان الله يامر بالعدل والاحسان · خليفة الرحمن صاحب الزمان السلطان ابن السلطان والخاقان ابن الخاقان ابو الفتح محمد بن مراد خان · لازالت الاقدار كما هي الآن · على طبق ما يهواه ووفق ما يرضاه الى آخر الدوران * وابد الله تعالى لواء خلافته معقودا بالسعود · وربط اطناب خيام سلطنته باوتاد الخلود · وهذا دعاء اهل الايمان قاطبة في القيام والقعود والركوع والسجود · ومثل هذا الدعاء عند الملك المعبود غير مردود · واشارته العالية نافذة في مشارق الارض ومغاربها · وماضية في اقاصي الاقطار وآفاقها ان انظر في الرسالة المسماة (بتهافت الفلاسفة) التي الفها الامام الهمام قدوة الائمة العظام مرشد طوائف الانام * حجة الاسلام * العالم الرباني * شيخنا الصمد ابو حامد محمد بن محمد الغزالي رحمهم الله تعالى واكتب على اسلوبه ما يسنح لي ويظهر عندي في كلام الفريقين وقواعد الطريقين من جهات التضعيف والترجيح والابطال والتصحيح * واني لمثلي رتبة ان احكم بين هولاء المراجيح * ولكن لما كان الامر واجب الاتباع * ومما لا رخصة

شرعا وعقلا ان لا يطاع * تجاذب رأيا الاقدام والاحجام * وتجاوب عزما التسويف والاتمام * فرأيتني اقدم رجلا واؤخر اخرى · اتردد بين الامرين ايها احرى · حتى امرت بلسان الالهام * لا كوهم من الاوهام * ان اتبع النص القاطع · الناطق بان امتثال حكم اولى الامر لطاعة الله ورسوله رديف وتابع فلاح لى ان لا فلاح الا بالائتمار للامر الاعلى · وانه الواجب الاقدم واللازم الاولى * فاستخرت وشرعت فيه مع وهن البنى * وضعف القوى * وتوزع البال · وتشتت الحال · لاسباب لا ابوح الا بواحد منها هو اني كنت اذ ذاك متجاوزا منتصف العشر التي هي معترك المنايا * وفاقه رقاب البرايا * مترقبا وقائفوقتا وصول رسول الرب اما بشيرا او نذيرا * واي خطب اهون من هذا لمن كان يخطر العاقبة خبيرا فاعجلنى الوقت عن الاستقصاء في الكلام وايراد كل ما يتعلق بما اضعه من المباحث على التمام · من النقض والابرام · والهدم والاحكام فوافقت طريقة الامام المرشد في الاصل لكن لا بطريق التقليد بل بمقتضى التحقيق البحت · او بما هو شريطة المناظرة والبحث · فان التقليد في امثال هذا من مزالة الجدو سفالة التحت · فاقتصرت على ايراد ما تحقق عندى وتقرر لدى · واتضح لى وزال خفاؤه علي · مما فى كلام الفلاسفة من الضعف والاختلال · او مما هو مظنة الاشتباه والاشكال · فان المناظرة معهم مفيدة · والمباحثة معهم غير بعيدة · اذ ليس لهم تعويل الا على المقدمات العقلية · وتعريج الا على الانظار الفكرية · فاذا انقطعوا عن اتمام واحد من الامرين فقد اضمحل ما اوردوه بالكلية · واما

ارباب

ارباب الملة فلهم في اكثر الالهيات دلائل نقية قطعية · لامجال للقدح فيها اذ هي وان كانت ايضا مبنية على انظار العقل · حيث لايمكن ثبوت صدق المنقول عنه الا بالعقل · ولابد منه لكن براهين صدقه صارت من الوضوح الى حيث لم يبق الافتقار الى المحاجة مع منكرها بالمقاولة باللسان · بل المقاتلة معه بالسيف والسنان · فعلى نقد يرالزامهم في انظارهم · والخامهم في افكارهم لا يتطرق خلل الى مطالبهم التي شد دار كانها وشيد بنيانها · بقواطع المعجزات · وسواطع البينات · وشرطت على نفسي عند ما شرعت في هذا الخطب الخطير والامر الكبير ان لااثبت في هذا الكتاب · الاماثبت عندي بالقطع انه الحق والصواب · وان لا اورد في معرض الاعتراض الاما كان في الواقع موقعا اللاشكال والارتياب · وان لا اجيب داعي التعصب اذا دعاني الى الجور والاعتساف · وان لا اميل بشيء من المقتضيات عن جادة الانصاف · وسألت الله تعالى متضرعا مبتهلا متخشعا متذللا العون بالتوفيق على الاتمام · والصون عن الخطاء والخلل في الفهم والكلام ولما تم بعناية الله تعالى منطويا على النكت السرية · ومحتويا على المباحث السنية * صدق رجائي ان يكون نافعا لي في الاولى والاخرى · فسموت به فخرا وسميته ذخرا · ورتبت مقصوده كالاصل على عشرين مبحثا موردا فيها المسايل المورد ة ثمه من غير تغيير في اصولها الا يسيرا · ولكن جعلت بين سوق الكلام في الاثبات والرد هناوثمه بونا بعيدا وفرقا كثيرا · والله المستعان على كل مايهول * وهو حسبي ونعم المسئول * ولنمهد قبل الخوض في مقصود

الكلام . مقدمة نافعة في الوصول الى المرام ، دافعة لكثير من تشاوش الاوهام ، وهي ان الوهاب الحكيم عز شانه اعطى الانسان عدة قوى ظاهرة و باطنة جسمانية و نفسانية يترتب على كل منها نوع من الآثار و يتم بها مالابد منه و بهمه او يفيده في حصول اغراضه و ماينبغي في نشأته الاولى والاخرى ولكنه جلت قدرته اقتضت حكمته ان لا يبلغ قدر هذه القوى مبلغا يترتب عليها جميع مراتب تلك الآثار بل يقصر عن نهاياتها فلا قوته البصرية تفي بابصار كل مايمكن ان يبصر ولا قوته السمعية بسماع كل مايمكن ان يسمع ولا قوته الجذبية بجذب كل مايهواه ولا قوته الدفعية بدفع كل مالا يرضاه الى غير ذلك من قواه فقوته الادراكية ايضا اعني عقله وان كانت اتم قواه و اقواها ليس من شانها ان تدرك حقايق جميع الاشياء واحوالها حتى الامور الالهية ادراكا قطعيا لايبقى معه ارتياب اصلا كيف و الفلاسفة الذين يدعون انهم علموا غوامض الالهيات باستقلال العقل و يزعمون ان معتقداتهم تلك يقينية وان كانوا اذكياء اجلاء قد عجزوا عن تحقيق مايبرأى اعينهم و مشاهد ابصارهم وهو الجسم المحسوس حتى اختلفوا في حقيقته فذهب جمهورهم الى ان اصل تركيبه من الهيولى والصورة وذهب عظيمهم الذى هو افلاطون الى انه ليس في الاجسام هيولى وصورة بل الاجسام التي ليست مركبة من اجسام مختلفة الطبايع وهي اركان العالم كالماء و النار مثلا اشياء بسيطة هي هذه المتصلات كما هي عند الحس وسائر الاجسام السفلية مركبة من العناصر الاربعة المشهورة و ذهب ذيمقراطيس الى ان الاركان مركبة من اجزاء بالفعل هي اجسام صغار صلبة غير

قابلة للانقسام بل لهم في حقيقة النفس اختلاف كثير بحيث لايسع تفصيله
الامجلد كبير واستدل كل واحد على مذهبه بما هو ليس بقطعي وابطل
دليل غيره فعلم انهم ماقدروا على معرفة شيئ من الاجسام معرفة تامة
مزيلة للاشتباه ولا على معرفة نفسهم التي هي اقرب الاشياء منهم فمن كان
مبلغ علمه انه ما عرف حقيقة ذاته ولا حقيقة بنية باخذ هابيده وينظر اليها
اليها بعينه ويبذل غاية جهده في التفكر فيها طالبا للاطلاع على حقيقتها كيف
يظن هو بنفسه او غيره به انه قد وقف باستقلال عقله واستبداد فكره
وقوفا قطعيا على اسرار احوال الصانع ذي العزة والجبروت واحاط
احاطة تامة بدقايق الملك والملكوت وكثيرا ما يظهر شخص نازل المرتبة
في الفطنة والذكاء قليل المعرفة بالاشياء ممن يلعبون باللعب غرائب صور
يقضي منها العجب وتتحير في كيفية حالها العقول ولا يتيسر لاحد بمجرد الفكر
الى حقيقتها الوصول فعجائب شان الله تعالى وصفاته وغرائب مصنوعاته
صارت اهون مراسا من تمويه هذا العاجز الذليل كلا فان بعضا منها وان كان
مما يستقل العقل فيه باقامة الدليل فكثير منها لايهتدي فيه الى سواء السبيل
الا المؤيد من الملك الجليل بالآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة الدالة
على صدقه في اقواله ورشده في افعاله فان هذا هو المتمسك الوثيق
وبان يوثره العاقل للاعتصام به حقيق . والمنكر لظهورها من الانبياء ولدلالتها
على صدقهم بان يطرح عن درجة الخطاب معه خليق . واما مايورده المستبدون
بالعقل فيما يخالف قطعيات الشرايع ويدعون انها دلائل قطعية فهي غير مسلمة لهم فان

الوهم في الالهيات من احم قوي للعقل بحيث تشتبه كثيرا احكامه باحكامه ويتعسر جدا التمييز بينهما ولا تخلص عن هذا الا بالرجوع الى ذلك التمسك الوثيق . وليس له سوى ذلك طريق . ومن اقتحم البحر الخضم بدون السفينة فهو لا بد غريق * ولقد انصف من الفلاسفة من قال لا سبيل في الالهيات الى اليقين * وانما الغاية القصوى فيها الاخذ بالاليق والاولى * ونقل هذا عن فاضلهم ارسطو فان الدلائل التي اوردها على اصول معتقداتهم المخالفة للبقينيات الدينية وادعوا انها قطعيات وجوه الخلل فيها ظاهرة كما ستقف عليها بعون الله تعالى وانما وقعوا فيما وقعوا لانهم اوتوا من عند الله العزيز الحكيم فضل ذكاء وفطنة حتى تيسر لهم استنباط علوم يقينية لا شبهة فيها بمجرد افكارهم وانظار عقولهم مثل الهندسيات والحسابيات وما ينتمي اليهما والمنطق وغير ذلك وقد احسنوا في ذلك واجملوا فاقوا ولاقوا بان يفضلوا ويعتقدوا فلم يشكروا لهذه النعمة الجزيلة وجعلوها وبالا على انفسهم فاعجبوا بارائهم وعقولهم فحداهم ذلك الى ان يتعدوا حدود ما يجب للعاقل ان لا يتعداه ويتصدوا لما لا ينبغي للبشر ان يتصداه كما يشير اليه قوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى * والذكاء وان هو شيء لا بد للانسان في الوصول الى سعادته منه لكنه مما يضل به كثير ويهدى به كثير وحين حسن ظن اقوام بهم بسبب اقتدارهم على استنباط تلك العلوم وجودة انظارهم وافكارهم فيها اعتقدوا حقية كل ما يقولون وان كان من قبيل ساء ما يحكمون واذا اورد عليهم مواقع الزلل في مقاصدهم ومواضع

الخلل في دلائلهم تشبثوا في الذب عنهم باذيال الجدال و العناد و ان عجزوا عن هذا ايضا حملهم حسن الاعتقاد بهم على ان يقولوا هم مبرأون عن الزلل و كلامهم عن الخلل غاية الامر انا لا نصل الى كنه ماقصدوا و حقيقه ماورد و او هذا افراط في الاعتقاد بهم لا يليق بشانهم بل بشان الانبياء الثابت صدقهم بقطعي الدليل كيف وهم وان كانوا اذكياء اجلاء فمن غيرهم ايضا رجال و كثيرا مانجد في كلامهم مايحكم العقل ببديهته ان ليس لصحته مجال و خلاف ما يقتضيه العقل بلا خلاف محال و فيض الفياض لا ينقطع في كل حال و نحن نحمد الله تعالى على ان هدانا الى سواء السبيل و نتكل عليه و هو نعم الوكيل ·

ثم ان ماخالفوا فيه ارباب الشرايع اقسام · فمنها · مايرجع الخلاف فيه الى مجرد الاصطلاح والتسمية كاطلاق بعضهم اسم الجوهر على الله تعالى مريدا به القائم بنفسه و نحن لانطلقه عليه تعالى لانا نريد بالجوهر المتحيز بالذات او الممكن القائم بنفسه وهو عز شانه منزه عن التحيز والامكان و اكثرهم يوافقوننا في عدم اطلاق الجوهر عليه تعالى وستسمع الكلام في هذا ان شاء الله تعالى و هذا نزاع لفظي لا يفضي الى مخالفة في المعنى غير ان يقال هل يجوز شرعا اطلاق هذا اللفظ عليه تعالى باى معنى كان ام لا فان اسماء الله تعالى توقيفية على ماهو المختار لكنا الآن لسنا بصدد بيان مثل هذه الاحكام وليس له مناسبة بغرضنا هنا فانه من الفقهيات فلا ننازعهم فيه ·

و منها ماخالف حكمهم فيه ظواهر مايفهم من الشرايع لكن لهم عليه ادلة

منها مايرجع الخلاف فيه الى مجرد الاصطلاح و التسمية

قطعية و نصوص الشرايع في خلافه غير قطعية اما منعا اوسندا ككثير من احكام علم الهيئة مثل كروية السموات و الارض و كيفية نضد هاو ترتيبها وحركاتها و كيفية الخسوف و الكسوف و سببهاوغير ذلك فانها امور تثبت عندهم اما بادلة قطيعة هندسية او بارصاد تجري مجرى المشاهدات و ليس في الشرايع دليل قطعي الثبوت غير محتمل للتاويل على خلاف ماحكموا به وكيف يتصور وقوع امرين متعارضين قطعيين نعم ظواهر النصوص تدل على خلاف بعض احكامهم لكن باب تاويل الظواهر عند الحاجة مفتوح فلا نشتغل في هذا الكتاب بالبحث عن هذا القسم ايضا ٠

﴿ ومنها ما خالف حكمهم فيه الشريعة وليس لهم عليه دليل قطعي ﴾

﴿ ومنها ﴾ ما خالف حكمهم فيه الشريعة وليس لهم عليه دليل قطعي وغرضنا الاصلي من وضع هذا الكتاب الرد عليهم في هذا القسم و هو على وجهين ٠ الاول ٠ ان يودي حكمهم الى كفرهم لمصادمته ماثبت بالقطع من الشارع كالحكم بقدم العالم و نفي المعاد الجسماني فان ادلتهم على هذين المطلوبين و امثالهما كما ستقف عليه ضعيفة و حجج الشرع فيها قطعية ٠ والثاني ٠ ان لا يؤدي حكمهم الى كفرهم لعدم قطعية ادلة الشرع على خلافه كنفيهم الصفات الحقيقية عن الله تعالى زاعمين ان ثبوتها ينافي التوحيد فان نصوص الشرع دالة دلالة ظاهرة على ثبوتها لكنها محتملة للتاويل كما يأول النصوص الدالة على ثبوت الوجه و اليد و غيرهما له تعالى و لهذا وافقهم بعض الملليين على هذا ٠ ثم لما كان من المقصود من وضع الكتاب اطلاع المعتقدين فيهم ماقصرت درجاتهم عنه و تنبيههم على انهم ليسوا بالمثابة التي

توهموها والمثابة التي زعموها من تبرئتهم عن الخطاء والزلل لم تقتصر على بيان خطائهم في المطالب بل نورد بعضها خطأ وافي الدلائل وان كانت الدعوى حقة ليتبين لهؤلاء من عدة وجوه ان هذا الافراط في الاعتقاد بهم عن مجرد تقليد لا عن تحقيق وتسديد وان كثيرا من آرائهم عن ظن وتخمين لا عن علم ويقين*

المبحث الاول حدوث العالم وقدمه

فانه اصل كبير يبتني عليه من مهمات المعتقدات شئ كثير وقد تشعب الناس فيه شعبا وتحزبوا احزابا والوا شتغلنا بتفاصيل مذاهبهم وماقيل فيها بما لها وعليها اطال الكلام وفات المرام فلنقتصر منها على ذكر ماهو الاقوى والاوثق* وبغرضنا الالصق والاوفق* فنقول ذهب جمهور الملليين الى ان العالم بجملته وهو ماسوى ذات الله تعالى وصفاته من الجواهر والاعراض علوية كانت او سفلية حادث اى كائن بعد ان لم يكن وذهب جمهور الفلاسفة الى ان العقل الاول والفلكيات اجرامها وعقولها ونفوسها بذواتها وصفاتها كلها قديمة الا الحركات الجزئية للاجرام والاوضاع الشخصية التابعة لتلك الحركات واما مطلق الحركة والوضع فهما ايضا قديمان لان الافلاك لم تخل قط عن الحركة ولم ينفك الوضع عن الحركة والعنصريات اجسامها بموادها ومطلق صورها الجسمية والنوعية ومطلق صفاتها قديمة اذ حدوث المادة عندهم ممتنع كما سنتكلم عليه ان شاء الله تعالى وكذا خلو المادة عن نوع الصورة الجسمية وجنس الصورة النوعية وعن صفة ما وخصوصيات الصورتين

و الصفة حادثة . ولما انواع الصورة النوعية فلا امتناع عندهم في حدوثها ولا قد مها اذ يجوز ان تكون الصورة النارية بنوعها حادثة بطريق الكون والفساد بان يفسد واحد من العناصر الثلاثة الاخر و يتكون منه النار بعد ان لم تكن موجودة اصلا و يجوز ايضا ان تكون مستمرة از لا بتعاقب افرادها واما النفوس الناطقة للانسان فلهم في حدوثها وقدمها خلاف فمذهب متقدميهم انها قديمة واستقر رأى متاخريهم على انها حادثة . ونقل عن افلاطون انه قال بحدوث العالم لكن اول بعضهم كلامه بانه اراد بالحدوث الحدوث الذاتي لا الزماني اذ الحدوث عندهم يطلق على معنيين . احدهما . المسبوقية بالعدم و هو الحدوث الزماني . والثاني . المسبوقية بالغير اي الاحتياج اليه وهو الحدوث الذاتي والعالم حادث بهذا المعنى بالاتفاق : وتوقف جالينوس في آخر عمره في حدوثه و قدمه . نقل عنه بعض الافاضل انه قال في مرض موته لبعض تلامذته اكتب عني اني ما علمت ان العالم قديم او حادث فالذي ثبت عنهم و تقرر حكمهم به قدم العالم ونحن لا نشتغل في هذا الكتاب باثبات مذاهب الملبين لغنائه عنه بما فصله الائمة في كتبهم انما المراد تحقيق الكلام فيما ذهب اليه مخالفوهم و تمييز الحق عن الباطل في ذلك .

. فنقول . قد استدلوا على قدم العالم بحجج اربع . اولها . وهي اقواها ان العالم ممكن موجود بالاتفاق وكل ممكن موجود فله مؤثر بالضرورة فمؤثر العالم لا يخلو اما ان يكون قديما او حادثا والثاني باطل والا لاحتاج الى مؤثر آخر و هكذا فيلزم التسلسل المحال فتعين ان مؤثره قديم فاذن لا يخلو اما ان

قد استدلوا على قدم العالم بحجج اربع

يستجمع

يستجمع فى الازل جميع ما يتوقف عليه تاثيره فيه اولا فعلى الاول يلزم تاثيره فيه في الازل والالزم تخلف المعلول عن علته التامة وهو محال فيكون العالم قديما والالزم الايجاد بلاوجود وهو غير معقول وعلى الثانى لابدان يتوقف تاثيره على شرط حادث محتاج الى مؤثر قديم لماذكرفاما ان يستجمع مؤثره في الازل جميع مايتوقف عليه تاثيره فيه اولا والثانى يستلزم التسلسل المحال والاول يستلزم قدم الحادث وهو محال واما ان يكون مؤثر العالم مستجمعا فى الازل جميع شرايط التاثير فيه وهو خلاف المفروض مع انه يستلزم المطلوب اعنى قدم العالم · وحاصل الكلام ان القديم يلزمه احد الامرين اما ان لايكون له اثرا وان يكون اثره قديما وحين كان العالم اثر القديم لزم ان يكون قديما · والاعتراض عليهامن وجهين · الاول · النقض بما اعترفوا به من الحوادث فانهم وان قالوا بقدم العالم فقد سلموا ان فيه حوادث كما علم ماذكرنا فى تفصيل مذهبهم كيف والحوادث اليومية مما لايتصور انكارها من عاقل فنقول لها مؤثر بالضرورة فمؤثرها اما ان يكون قديما اوحادثا الى آخر ماذكرتم من المقدمات فيلزم ان تكون الحوادث قديمة ولايقول به عاقل · فان قيل · مقدمات الدليل انما تجرى في الحادث الذى لا تكون له شروط مترتبة الى غير النهاية غير مجتمعة في الوجود بان لايكون له شرط اصلا فيلزم من حدوثه تخلف المعلول عن علته التامة او تكون له شروط مترتبة غير متناهية مجتمعة في الوجود فان المحال هو هذا التسلسل عندنا واما على ماذهبنا اليه من جواز صدور الحادث من

الاعتراض على وجوب قدم العالم

القديم بواسطة حوادث كل منها مسبوق بآخر الى غير النهاية مستندة سلسلتها الى حركة سرمدية بان تكون للحادث مادة قديمة . اما هيولى له * كالاجسام الحادثة * او محل له * كهيوليات تلك الاجسام لصورها ولاستعداداتها المتعاقبة وكاجرام الافلاك لحركاتها او اضاعها الجزئية وكالمجردات لصفاتها ان قلنا بجواز حدوث الصفة لها * او هيولى لمتعلقه * كهيوليات ابداننا النفوسنا الناطقة اذا قلنا بحدوثها فانه يتوارد على تلك المادة بواسطة الحركة الفلكية السرمدية استعدادات متعاقبة لوجود هذا الحادث غير متناهية من جانب المبدأ متفاوتة في البعد والقرب والضعف والقوة بالنسبة الى هذا الحادث فاذا انتهت الى غاية القرب والقوة حدث الحادث بواسطتها من مؤثره القديم فلا استحالة فيه اذ لا دليل على امتناع مثل هذا التسلسل * لا يقال * الحركة التي جعلتموها واسطة في حدوث الحادث من القديم ان كانت حادثة عاد الاشكال الى صدورها من القديم وان كانت قديمة بقي الاشكال في صدور الحادث بواسطتها من القديم . لانا نقول : حركات الافلاك ذات جهتين الاستمرار والتجدد فباعتبار الجهتين صارت صالحة لتوسطها بين جانبي القدم والحدوث فمن جهة الاستمرار جاز صدورها عن القديم ومن جهة الحدوث صارت واسطة في صدور الحوادث عن القديم . قلنا : ماذهبتم اليه باطل من وجوه : اما الاول : فهو ان القول بتوارد استعدادات حادثة غير متناهية على مادة قديمة كلام متناقض لان القديم يجب ان يكون سابقا على كل حادث اذ المراد بالقديم ما لا يكون مسبوقا بالعدم وبالحادث ما يكون مسبوقا به

فلا بد ان يكون سابقا على كل واحد مما يصدق عليه الحادث وهذا يوجب ان تكون له حالة يتحقق فيها سبقه على كل واحد مما يصدق عليه الحادث اذ ما كان مقارنا مع واحد منها لا يصدق انه سابق على كل منها بل على بعضها وهو ظاهر لضرورة العقل . ويلزم من توارد الحوادث الغير المتناهية عليه ان لا توجد له تلك الحالة بل مقارنته دائما مع بعض الحوادث وعدم خلوه عنها في حال من احواله فلا يكون سابقا على كل فرد منها والمنافاة بين دوام المقارنة مع بعض الافراد والسبق على كل فرد بديهية ويعلم من هذا بطلان قولهم بعدم تناهي حركات الافلاك واوضاعها بل بطلان عدم تناهي حوادث متعاقبة مع وجود قديم مطلقا اى سواء كانت تلك الحوادث واردة على ذلك القديم عارضة له اولا ومنشأ شبهتهم التباس حكم الوهم بحكم العقل فان شان الوهم ادراك الجزئيات ومعرفة احكامها لا معرفة احكام الكليات فيتصور حوادث كثيرة متعاقبة متواردة على قديم كل منها مسبوق بآخر ولا يرى فيه جهة امتناع ولا يقدر على تصورها مفصلة غير متناهية حتى يعرف امتناعها فيقيسها على ما عرف حكمه ويثبت لها ذلك الحكم واما العقل فمن شانه ادراك الكليات ومعرفة احكامها فيحكم بامتناع التوارد المذكور بناء على حكم كلى هو انه كلما تواردت الحوادث المتعاقبة الغير المتناهية على قديم لم يكن سابقا على كل فرد منها لكن ممتنع عدم سبقه على كل فرد منها وهذا برهان متين جدا على بطلان مذهبهم لا مجال للقدح فيه الا على طريق المكابرة والعناد (برهان آخر) اعم من

والمعلولات وكالابعاد اولا كالحركات وهو برهان التطبيق * وتقريره انه لو حقق امور غير متناهية بفرض من واحد منها الى غير النهاية جملة وما قبله بمتناه الى غير النهاية جملة اخرى ان كان عدم التناهي في جانب المبدأ وما بعده بمتناه الى غير النهاية جملة اخرى ان كان عدم التناهي في جانب المنتهى ثم نطبق الجملتين على التقديرين بان نجعل مبدأيهما المفروضين في كل واحد من التقديرين متوازيين فان وقع بازاء كل جزء في الزائدة جزؤ من الناقصة كانت الناقصة في الاجزاء مساوية للزائدة فيها بل كان الجزؤ مساويا للكل في الاجزاء وامتناعه بين وان لم يقع ذلك بان يكون في الزائدة جزؤ ليس في الناقصة فتنقطع الناقصة حينئذ في الجانب الذي فرضت غير متناهية فيه والزائدة لا تزيد عليها الا بمتناه وهو مقدار ما بين مبدأيهما المفروضين ولا شبهة في ان الزائد على المتناهي بقدر متناه متناه فيلزم انقطاع الزائدة ايضا وتناهيها في الجانب الذي فرضت غير متناهية * هذا حاصل ما ذكره المحققون في تقرير برهان التطبيق ثم حكموا بانه جار في الامور الغير المترتبة ايضا وجريانه فيها خفي لكن يظهر من سياق كلامنا في الابحاث الآتية في هذا المقام * ونقض هذا البرهان * اما اجمالا * فبمراتب الاعداد فانها غير متناهية مع جريان مقدمات البرهان بأسرها فيها بان نقول نفرض جملة من اثنين الى مالا يتناهى واخرى من الف الى مالا يتناهى ثم نطبق الجملتين ونرد المقدمات الى آخرها * واما تفصيلا * فبان التطبيق ان سلم تأتيه في الامور المترتبة المجتمعة في الوجود فلا نسلم ذلك في الامور الغير المجتمعة

في الوجود او المجتمعة فيه الغير المترتبة . اما الاول . فلان تحقق التطابق بين اجزاء الجملتين يتوقف على وجودها معافي الخارج ليلزم من انطباق المبدأ على المبدأ انطباق الثاني على الثاني والثالث على الثالث وهكذا فيتحقق التطابق في الخارج او على اقتدار العقل على ان يلاحظ اجزاءهما مفصلة ويعتبر موازاة كل جزء من احداهما مع جزء من الاخرى ليتحقق التطابق في الذهن لكنه عاجز عن ذلك ولا يمكن له فاذ لم تكن الاجزاء موجودة معافي الخارج ولا يمكن للعقل ملاحظتها مفصلة لا يتصور تطبيق . واما الثاني . فلانه لا يلزم حينئذ من وقوع جزء من هذه بازاء جزء من تلك وقوع الثاني بازاء الثاني والثالث بازاء الثالث وهكذا بل يجوز وقوع اجزاء كثيرة من احداهما بازاء جزء واحد من الاخرى والعقل لا يقدر على ملاحظتها مفصلة واعتبار التطبيق بينها كما ذكرنا واعتبر بالجملتين الممتدين في جهة واحدة وبجملتين من الرمل . ففي الاول يكفي في حصول التطابق كون طرفيهما متوازيين وفي الثاني لا يحصل الا بالملاحظة التفصيلية ثم اعتبار التطبيق ولهذا خصص الحكماء استحالة التسلسل في الامور المترتبة اما طبعا او وضعا المجتمعة في الوجود كالعلل والمعلولات وكالابعاد . والجواب . عن الاول انه لا يرد النقض بمراتب الاعداد على رأينا اذ لا معنى لاستحالة التسلسل الا انه لا يمكن وجود امور غير متناهية ومراتب الاعداد وان كانت غير متناهية لكن لا يمكن وجودها عندنا اذ العدد عندنا من الامور الاعتبارية فلا يمكن وجوده في الخارج اصلا وفي

الذهن غير متناه مفصلا ولا تسلسل في وجوده في الذهن كذلك مجملا
وكذا لا يرد النقض على محققي الحكماء لان العدد وان كان موجودا
عندهم لكن لا يقولون بوجود الاعداد المترتبة الغير المتناهية اما في غير
الامور المجتمعة في الوجود فظاهر واما فيها فانهم وان قالوا بوجود تلك الامور
فيلزمهم وجود مراتب الاعداد الغير المتناهية لكن لا ترتب فيها لان
الاعداد عند محققيهم ليس بعضها جزأ لبعض بل هي انواع متباينة فان
العشرة مثلا ليست مركبة من واحد وتسعة ولا من اثنين وثمانية ولا من خمسة
وخمسة وغير ذلك بل كل منها مركب من الاحاد ومن صورة نوعية
مخصوصة فالاعداد الغير المتناهية في تلك الامور غير مترتبة فلا نقض عليهم
ايضا لعدم تخلف الحكم اعني استحالة ترتب الامور المجتمعة في الوجود نعم
يرد النقض على من قال منهم بتركب الاعداد من الاعداد ان قال بعدم
تناهي النفوس الناطقة الموجودة ايضا واعلم ان معنى النقض جريان
الدليل بجميع مقدماته في شيء مع تخلف الحكم عنه فجوابه اما بمنع جريان
الدليل في صورة النقض لعدم صدق بعض مقدماته فيها واما بمنع تخلف
الحكم عنه فيها ونحن اجبنا عنه بمنع تخلف الحكم في صورة النقض
اذ حكمنا باستحالة وجود امور غير متناهية والحكم في مراتب الاعداد
كذلك وجميع المحققين اجابوا عنه بمنع جريان الدليل في صورة النقض
بناء على ان التطبيق في الاعداد لا يتحقق اذ ليس فيها جملتان في نفس الامر
تطبق لكون الاعداد وهميات محضة هذا ان اريد من التطبيق في نفس